إن الذى طلب الملك ليس عندى ... فلما رجعا إلى كسرى ... قال للرسول : وما قال ؟

فقال الرسول : أيها الملك ، إنه قال : أما كان فى بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا . فعُرف الغضب فى وجهه ، ووقع فى قلبة منه ما وقع ؛ لكنه لم يزد على أن قال : رب عبد قد أراد ما هو أشد من هذا ثم صار أمره إلى التباب . وشاع هذا الكلام حتى بلغ النعمان ، وسكت كسرى أشهراً على ذلك ، وجعل النعمان يستعد ويتوقع حتى أتاه كتابه أن أقبلْ ، فإن للملك حاجة إليك . فانطلق حين أتاه كتابه ، فحمل سلاحه وما قوى عليه ثم لحق بجبلى طىء ... »

وقد روى ما نقلنا مختصرين أبو الفرج فى « أغانيه » فى أخبار عدى بن زيد ، ورواه ابن جرير الطبرى فى « تاريخ الأمم والملوك » خبراً تاريخياً لا ريب عنده فيه . وهـذه الأسطورة النعمانية مثل الأسطورة البراقية ، أحدوثة أخت البراق القائلة أو المقوّلة : « ليت للبراق عيناً فترى » القصيدة المثيرة المشهورة

٥ ـ نشأة المسرح الانجليزى

[معلومات طريفة كثيرة عن نشأة هذا المسرح]

للأســـتاذ دريني خشبة

أشرنا فى الفصل الأول من هذه الفصول عن نشأة الدراما الإنجليزية إلى المسرح المتحرك (المتنقل) أو ال Pageant ونتكلم فى هذا الفصل عن نشأة الفرق التمثيلية ، ثم عن المسارح البدائية وأول ما عرفت انجلترا منها . وقد قدمنا أن رجال الكنيسة هم الذين اضطلعوا أول الأمر بتمثيل الروايات الإنجيلية والدرامات القديسية ، وأنهم أصحاب الفضل فى تربية الذوق المسرحى وطبعه فى وعى الجماهير حتى انتقل زمام التمثيل من أيديهم إلى أيدى رجال النقابات ، وما قامت به تلك النقابات من مجهود مشكور فى تشجيع المؤلفين والممثلين المحترفين ، ثم نوهنا بما كان لرجال البلاط الإنجليزى والأمراء والنبلاء وأعيان البلاد من فضل فى الأخذ بيد هذا الفن الناشىء ومد رجاله بما يفتقرون إليه من المال الذى لا ينجح مشروع بدونه . ولقد نشأ الاحتراف فى المسرح الإنجليزى من ناحيتين ، الأولى هى ناحية صبيان الكنائس الذين كان يتألف منهم الخورس أو المنشدون The Choristers — وقد عنى بتدريب هؤلاء الصبيان على التمثيل منذ نعومة أظفارهم لكى يتفرغوا لأداء الأدوار التمثيلية فى مختلف الروايات خصوصاً بعد أن أصبح إقبال الجماهير على مشاهدة التمثيل إقبالاً رائعاً ، وما حدث نتيجة لهذا الإقبال من استغلال التمثيل استغلالاً اقتصادياً كانت أول موارده تلك المزادات التى أشرنا إليها سالفاً ، والتى كانت تدر على النقابات الأرباح الطائلة . من هنا رؤى انقطاع هؤلاء الصبيان لهذه الحرفة الجديدة التى جمعت بين شرف العمل وشرف الكسب مع صلتها المتينة بالأدب الإنجليزى الذى كان وما يزال نوطُ العزة على صدر كل أديب فى انجلترا . أما الناحية الثانية التى نشأ عنها الاحتراف فهى تلك النقابات التى تكلمنا عنها آنفاً . هذا ، وقد تألفت بعد ذلك جماعات من أولئك المحترفين كانت باكورة « الفرق التمثيلية » فى انجلترا ، وكانت كل جماعة تتمتع برعاية أحد النبلاء حتى لا تقع تحت طائلة قانون « المتشردين ! » وذلك لكثرة تنقلهم فى البلاد ، وتنقلهم من قرية إلى أخرى ، ولأن الحكومة الإنجليزية لم تكن قد اعترفت بعد اعترافاً رسمياً بهذه الحرفة الجديدة ، فكان أفراد الفرقة من هذه الفرق يجيئون ويروحون تحت اسم : « خدم فلان من اللوردات أو الدوقات أو رجال البلاط ! » حتى يكونوا بنجوة من معاكسات رجال الإدارة (!) ومشاكساتهم ، فهذه فرقة « خدم الأيرل أوف ليستر » ، وتلك فرقة « خدم البلاط الملكى » ، وهذه فرقة « خدم دوق أوف سومرست » ، وهكذا ... والحقيقة أنه لم تكن ثمة أية علاقة بين هذا الدوق أو ذاك الأيرل ، وبين الفرقة التى انتحلت لنفسها رعايته انتحالا . ولقد كان المسرح الأول الذى تؤدى فيه الدراما ، هو إما بهو من أبهاء البلاط وإما رواق من أروقة قصور الأمراء أو النبلاء أو عظماء الشعب ، فإن لم يوجد هذا أو ذاك فى بهو من أبهاء الفنادق ، أو فى أحد أروقة جامعتى

أوكسفورد وكمبردج . على أن أبهاء الفنادق كانت أحفل الجميع بالتمثيل المنتظم المستديم ـ فى جميع أيام الأعياد بالطبع ـ لأنها لم تكن أبنية خاصة كقصور الملوك أو الأمراء مثلاً ، ولذا كانت أقرب إلى الارتياد الحر وأيسر على أفراد الشعب من غيرها . وكانت فنادق المدينة تبنى كلها فى موضع واحد منها حول ميدان ، أو ساحة كبيرة تنتظر فيها العربات والدواب ، وما إلى ذلك من وسائل النقل والحمل ؛ فكانت شرفة terrasse الفندق الأوسط تستعمل مسرحاً ، ويقف النظارة من أفراد الشعب فى الساحة أو الباحة أو الميدان . أما السَّفْر من نزَّال الفنادق فكانوا أسعد حالاً ؛ إذ كانوا يجلسون فى عظمة وإدلال وأبهة فى شرفات غرفهم فوق الأرائك والكراسى الفخمة ، حيث يطوف عليهم الخدم بالأطايب والأشربات . ولم تكن المناظر المسرحية قد عرفت بعد ، بل كانت تحل محلها «سبورة» ! يكتب عليها بالخط الكبير اسم المنظر الذى يجب أن يتوهمه النظارة توهما ، فيكتب مثلاً : « هـذه قلعة جلوم ! » أو « هنا غابة آردن ! » وهكذا ...

أما كيف أنشىء المسرح الأول فلذلك سبب عجيب مضحك فى آن معاً . . . ويجب قبل إيراده الرجوع قليلاً إلى التاريخ الاجتماعى لانجلترا ، وإلى هذه العصور التى كانت «مسز جراندى!» رمز الحفاظ والتمسك بأهداب التقاليد والآداب المرعية تتحكم فى المجتمع البريطانى تحكما جباراً لا يسهل الفكاك منه ... ويجب كذلك أن نذكر ذلك الروح الطهرى Puritanism الذى كان يسود الحياة فى المدن الإنجليزية عامة ، ولندن ـ أم القرى ! ـ على وجه الخصوص ... ذلك الروح المتزمت الرجعى الذى كان يضيف التمثيل إلى شعبذات المهرجين ومساخر الحواة وأكلة الثعابين ومروضى الوحوش ومراقصى الدببة والقرود ومصارعى الثيران ، ومن إلى هؤلاء جميعاً من سائر البهاليل (! !) . . . هذا الروح الطهرى هو الذى دفع محافظ لندن إلى محاربة التمثيل والممثلين بالقوانين . . . فأصدر تشريعاً صارما يحظر على رجال النقابات والفرق التمثيلية غشيان أبهاء الفنادق إلا بتصريح خاص — وقلما كانوا يحصلون منه على هذا التصريح — كما حظر عليهم التمثيل فى الميادين والطرقات العامة أو المتنزهات التى ما جعلت فى زعمه إلا للراحة والترفيه عن الشعب اللاغب المتعب من عناء العمل ؛ وكذلك حظر عليهم التمثيل مطلقاً أيام الآحاد . . . ولم يشأ رجال الفرق أن يشاغبوا جبروت هـذا التشريع التعسفى ، بل آثروا السلامة ، وانتقلوا بقضهم وقضيضهم إلى الضفة الجنوبية من نهر التيمس ، حيث لا سلطان لهـذا المحافظ الجاهل ولا تشريعه الخانق عليهم . وهناك استأجر جيمس[1] بربيدج Burbage قطعة من الأرض فى بلاك فرايرز Blackfriars لمدة إحدى وعشرين سنة وأقام عليها (تركيبة !) من الخشب سنة ١٥٧٦ أطلق عليها اسم (التياترو) The Theatre فكان هذا أول المسارح الإنجليزية التى مهدت لأعظم مسارح العالم

ثم أنشئ قريباً من هذا المسرح فيما بعد مسرح الكرتين (الستار Curtain) الذى اشتغل به الشاعر الكبير بن جونسون ممثلاً بسيطاً فى صدر شبابه . ولم يكن الكرتين يتمتع بالسمعة الطيبة التى كان يتمتع بها المسرح الآخر ، بل كانت العلية تصد عنه وتعتبر الذهاب إليه نقيصة أدبية ... والظاهر أنه لم يكن يعرض إلا الدرامات الثانوية « روايات الدرجة الثالثة ! » ، وذلك بالرغم من أنه أخرج درامة شيكسبير الخالدة « روميو وجولييت » سنة ١٥٩٦ . وكانت أجرة الدخول فى هذا المسرح بنساً واحداً يضاف إليه بنس آخر لمن أراد كرسياً فى الأبهاء أو فوق المسرح

ومن المسارح الأخرى التى أقيمت بعد هذين المسرحين الروز « الوردة » والسُّوان « البجعة » ، وقريباً من السُّوان كان يوجد ملعب البير جاردن The Bear Garden حيث كان الناس يستمتعون بمشاهدة مروضى الوحوش ، وتقاتل هذه الوحوش نفسها ضد بعضها ... أما مسرح السُّوان فكان يمتاز من مسرح الجلوب العظيم « الذى سيلى وصفه » بما كان فيه من مسرح إضافى لتمثيل الروايات التى من طراز « هملت » ، وحجرة نوم للروايات التى من طراز عطيل حيث تنام ديدمونه ، وكان به شرفة لتمثيل روميو وجولييت ، كما استعملت فيه الستار لأول مرة لقسمة المسرح وذلك لتبديل المناظر . وكان يحتوى

(١) والد ريتشارد بربيدج أحد ممثلى شيكسبير فيما بعد وأحسن ممثلى هملت ولير وعطيل

غرفة للممثلين خاصة تتصل بالخشبة بباب فلا يراهم النظارة حين ينتهون من أداء أدوارهم — ومن الظريف أن حجرة الممثلين هذه كانت بأعلى التياترو ! ، وكان لها سلم لولبي لكي لا يشغل حيزاً كبيراً ، كما كانت إلى جانبها حجرة المؤذنين الذين يدقون الطبول إيذاناً ببدء التمثيل . وكان السُّوان كبيراً جداً بحيث يتسع لثلاثة آلاف من المتفرجين !

ونعود إلى المسرح الأول ـ التياترو The Theatre فنذكر أنه لما رفض صاحب الأرض تجديد عقد الإيجار ، اضطر بربيدج إلى فك أخشاب مسرحه ونقلها مع جميع أدواته الأخرى إلى الشاطئ الآخر من النهر ، في سوثوارك Southwak ، حيث أنشأ مسرح الجلوب العظيم The Globe سنة ١٥٩٨[1] — وكان عمر شيكسبير إذ ذاك أربعا وثلاثين سنة بينما كان عمره عند إنشاء المسرح الأول اثنتي عشرة سنة فقط

أما هذا المسرح الثاني (الجلوب) ، فقد كان من خارجه سداسي الأضلاع ، أما من الداخل فكان مستديراً ، ولم يكن مسقوفا إلا من فوق أبهائه التي كانت تذكر بأبهاء الفنادق ، وكانت هذه مغطاة بنوع من القش المعروف عندنا بالسمار ، وهو الذي تصنع منه الحصر ؛ أما الت — أي خشبة المسرح ، فقد كان موضعها في الوسط على إرتفاع أربعة أقدام ، ولم تكن حولها مقاعد للنظارة الذين كان شيكسبير يسميهم Groundlings وكان عليهم أن يقفوا طول وقت التمثيل — أما نظارة الأبهاء « البناوير والألواج » فقد كانت لهم مقاعد خشبية ، كما كانت توجد مثل هذه المقاعد أيضاً فوق خشبة المسرح نفسها ، وكان فرق ما بين الواقفين والجالسين هو أن يدفع هؤلاء ستة بنسات أكثر على أن يسمح لهم بشرب الجعة « البيرة » والتدخين بالغلايين . وكانت هذه الطبقة المنتفخة الممتازة تسمى طبقة ال Gallants . وكان منها عدد من الشباب الظريف المثقف يجلس هناك مجلس الصحافي المسرحي ، لينقد المناظر والإخراج وأداء الممثلين في فترات الاستراحة بين الفصول . وكان التمثيل يبدأ عادة حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر ، وكانت تسبقه ثلاث دقات تنبيهية بالطبلة النحاسية « الترمبيته » وكانت البرامج تطبع بالمداد الأحمر إذا كانت التمثيلية مأساة ، وإلا فبالمداد العادي . ولم تكن هناك أية مناظر في أول الأمر . ولم تكن ثمة أية عناية بالتوزيع الضوئي . وكانت السبورة أو لوحة الإعلانات Placard تقوم مقام المناظر بكتابة أسمائها عليها كما ذكرنا . ولشارلز لامب في ذلك تسجيل أدبي رائع من شعره الظريف . وكانت الأدوار النسائية تسند إلى ولدان من ذوي الجمال في الجسم والوجه والصوت . وكان لكل فرقة بُهلول « بلياتشو ! » يشمبذ في فترات الراحة بين الفصول ، فكان أحياناً يغني أو يُشهّر ببعض الشخصيات التي يثير التشهير بها كثيراً من الضحك بين النظارة ، كما كان يعلق بأسلوب فكه على أهم حوادث اليوم . فإذا انتهى الممثلون من آخر فصول الدرامة اجتمع كل أفراد الفرقة في ركن من أركان المسرح ، ثم ركعوا تحية للملك والملكة ، وهو ما يشبه السلام الملكي اليوم ...

هذا ، وقد بُدىء باستعمال المناظر المتحركة بعد النهضة الأصلاحية ، وكان الفضل في استعمالها للسير وليم دافنانت Davenant ، وكذلك حل النساء محل الولدان في تمثيل الأدوار النسائية سنة ١٦٦١ . ذاك وقد كان لكل مسرح من المسارح الإنجليزية علامة مسجلة ؛ فعلامة الجلوب صورة للبطل اليوناني الخرافي الجبار هرقل حاملاً بيديه المريدتين كرة أرضية ، وكان على مقربة من الجلوب مسرح البلاك فرايرز ، وكان شيكسبير يؤلف دراماته لهذين المسرحين خاصة ، كما كان يساهم في التمثيل وفي الأرباح على السواء . وقد كان الجلوب هو المسرح الصيفي ، أما الآخر فكان مسرح لندن الشتوي العتيد ، وبذلك امتاز عن الجلوب الذي كانت المسارح الأخرى تنافسه منافسة شديدة ، ولا سيما مسرح الفورشون « الحظ » الذي أُنشىء سنة ١٥٩٩ لمنافسة شيكسبير . وكانت كل هذه المسارح الصيفية ما عدا الفورشون قائمة وسط مستنقعات كبيرة ، وكان المتفرجون يصلون إليها فوق جسر طويل . وقد حدث في سنة ١٦١٣ أن شب حريق كبير التهم المسرح العتيد كله ، ولم يلبث صاحبه أن جدده في السنة التالية . وقد انتهز الفرصة فاستبدل بالخشب الملاط ، وبقش السمار الإردواز ، واصطنع خشبة

(١) خالف تشارلز هيستنجز كل الروايات فذكر أنه أنشئ سنة ١٥٩٣

المسرح من ألواح السنديان ، كما خص الممثلين بغرفة كبيرة خلفية يستجمون فيها ، وزاد في عدد الأبهاء « البناوير » فجعلها ثلاثة صفوف بدل صف واحد . وقد كلفه المسرح الجديد ثمانين وثمانمائة من الجنيهات قيمتها الآن ثمانية آلاف . ذلك وقد كثر عدد المسارح في أواخر عهد الملكة اليزابث داخل لندن نفسها ، فكان ثمة مسرح الكوك پت أو الفورنكسن ومسرح الردبول Red Bull ... الخ . وقد أحصيت هذه المسارح فكانت أحد عشر مسرحاً . على أن المنافسة الشديدة الحق كانت بين اثنين منها فقط ، وهما : الجلوب وكان تحت رعاية اللورد تشمبرلن ، والفورشون وكان تحت رعاية اللورد أوميرال ؛ وكانا كلاهما يتمتعان برعاية الملك المباشرة . وكان من هذه المسارح ما هو خاص وما هو عام . وكانت الهيئة التي تشرف على المسارح الخاصة ، مثل الكوك پت والسالسبري والبلاك فرايرز ، هيئة منتقاة يراعى في اختيارها شرائط لا داعي لذكرها هنا . وكانت المسارح الخاصة على العموم أصغر بكثير من المسارح العامة كالجلوب والفورشون والرد بول ، كما كانت مسقوفة دائماً ليستمر التمثيل فيها طول العام ، بعكس المسارح العامة التي كانت مكشوفة الوسط لاتساعها ، ولم يكن يستمر التمثيل بها غير أشهر الصيف ، من ثلاثة أشهر إلى خمسة . أما في الشتاء ، وهو سبعة أشهر تقريباً ، فقد كان الضباب الكثيف يحول دون التمثيل فيها ، خصوصاً والمشاعل لم تكن قد استعملت بعد . وقد اقتبست المسارح الإنجليزية في أوائل القرن السابع عشر وسائل المسرح الفرنسي الآلي في إخراج المناظر المختلفة . وكانت وسائل لجة غير رائعة ، وكانت تستعمل في إبراز الغابات أو القصور أو المدن ، كما أخذت عن المسرح اليوناني القديم طريقة الستار الأسود في أقصى المسرح إذا كانت التمثيلية مأساة . . . على أن هذا النقص في الإخراج كانت تستره مكتبة المسرح ، إذ كان لكل مخرج مكتبة محترمة تتألف من أصول الدرامات التي يقوم بعرضها ، ثم من مئات من أمهات الكتب التاريخية والمسرحية والأدبية ، ولم تكن المكتبة حبيساً على الممثلين ، بل كان الشعب ينال منها نصيباً لا بأس به من الاطلاع . وقد تضاعفت هذه المكتبات بعد نشاط الطباعة وتقدم وسائلها الحديثة ، وصار المؤلفون المسرحيون يمنون بطبع درامانهم والوقوف على طبعها بأنفسهم . ولم يكن أحسن مسارح لندن يشترى من أحسن هؤلاء المؤلفين حق تمثيل إحدى درامانه بأكثر من ثمانية جنيهات (تساوى الآن ثمانين !) ، وكان أصحاب الفرق يستغلون المؤلفين استغلالا دنيئاً ، فكان المؤلف الفقير يقترض بمن مدير إحدى الفرق مبالغ تافهة على أن يقدم بها درامة أو درامتين ، فإن عجز عن السداد دخل الربا بين الطرفين ، وظل المؤلف مستعبداً إلى الأبد . على أن عدداً قليلاً من المؤلفين استطاع أن يقف من هؤلاء المديرين موقفاً حازما ، إذ استطاعوا أن تكون لهم حصتهم في ميزانية المسرح ، وعلى رأس هؤلاء مارلو وبن جونسون وشيكسپير

وكان النساء محرومات من فنيان المسارح بادىء الأمر ، فلما خفت وطأة المستر جراندى ، أخذن في الاختلاف إليه حتى أصبحن عنصراً هاما فيه ... ممثلات ونظارة !

« يتبع »

دريني خشبة

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات (الرسالة) مجلدة بالأثمان الآتية :
السنة الأولى في مجلد واحد ١٠٠ قرش ،
و ١٠٠ قرش عن كل سنة من السنوات :
الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة في مجلدين . وذلك عدا أجرة البريد وقدره خمسة قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج عن كل مجلد .